

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم يَسِّرْ وَأَعِنْ

مقدمة

هذا حديث عن حياة سيدنا محمد ﷺ في بيته، أعرضه في صور متتابعة للسيدات الكريمات اللواتي أظلهن هذا البيت، وكان لكل منهن أثرها في حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكانها في تاريخه العظيم وسيرته الخالدة.

ولم أكتب كلمة واحدة من هذا الحديث، حتى قرأت ما في مكتبتنا من مصادر ومراجع لهذا الجانب من حياة الرسول ﷺ، في بيته، مبتدئة بالقرآن الكريم، والحديث وكتب السيرة، والتفسير، ثم التراجم والتاريخ. وطالعت ما في خزانتي من كتب للمستشرقين في هذا الموضوع.

على أني حين بدأت أكتب، كان جهد محاولتي أن أرجع إلى مصادرنا الأصول، لما أقدم عن حياة أمهات المؤمنين في بيت النبي ﷺ، كما تمثلتها بعد أن وعيت الذي قرأت...

وأعترف بأنني شعرت بتهيب حين فرغت من القراءة، هممت معه

بالتراجع عن الكتابة في هذا الموضوع، وذلك لما ملأني من إحساس
بجلاله ودقته من ناحية، ولكثرة ما كتب فيه من ناحية أخرى.
فهؤلاء السيدات اللواتي عشن في بيت النبوة، ينزعن جميعاً إلى
حواء، وقد جنن إلى بيت تلاقت فيه البشرية بالنبوة واتصلت الأرض
بالسما، وتزوجن من بشر اصطفى خاتماً للنبيين، يتلقى الوحي من الله
عز وجل، ويبلغ رسالته، فأني لقلم أن يصور حياة كهذه، توج فيها أهواء
البشرية في فيض من النور الأسنى، وتتجاذب فيها الأنوثة - التي نعرف
رقتها وضعفها ورهافة وجدانها - تيارات بالغة القوة والعمق، يجذبها
بعضها إلى هذه الأرض الدنيا، وتشدها أخرى إلى السماوات العلا،
وتتعادل من هذا بشرية مساوية، وسماوية إنسانية!

غير أني عدت ففقدت أن تراجع سيدات بيت النبوة، رضى الله
عنهن، تكليف لي وتشريف، فلست بحيث أنصرف عنها بعد أن اتجهت
إليها.



وإذ صح مني العزم على تناول هذا الموضوع الجليل الدقيق، لم أعد
أتهيب كثرة ما كتب فيه، إذ يبقى مجال لتناول جديد يستوعب ما في
المصادر الموثقة عن حياة نساء النبي في البيت الكريم، ويتمثلها على
هدى دين الفطرة، وبإيجاء البيئة ومنطق التاريخ، في نزاهة مؤمنة، ودراسة
محقة...

وسيرى القارئ أني اقتصرت في هذا الكتاب على الأزواج اللاتي
شرفن بلقب أمهات المؤمنين، ومعهن «مارية القبطية المصرية» التي كان

لها إلى جانب حظوتها عند المصطفى ﷺ وشرف أومتها لابنه إبراهيم عليه السلام، أثر واضح في الحياة الخاصة للبيت الكريم. وفيما عدا أمهات المؤمنين ومارية، لم أتحدث عن السيدات اللاتي تزوجهن ولم يدخل بهن، وقد اختلفت الروايات في عددهن وأسمائهن، فمن شاء قراءتها فليرجع إلى كتب السيرة النبوية، والأنساب وطبقات الصحابة وتاريخ عصر المبعث...

كذلك لم أتحدث عن وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، ولا اللواتي عرض عليه أن يتزوجهن، ولم يتم الزواج^(١).

ولست أجهل أنه قد كان لهؤلاء السيدات أثر في حياته ﷺ، العاطفية والزوجية، غير أن التاريخ المروى، لم يشأ أن يسجل ذلك الأثر، ولا عرف لهن مكانا في بيته، ومن ثم جاز لي أن أدعهن كي أفرغ للحديث عن أولئك اللاتي دخلن حياته ﷺ، مركزة جهدي في تصوير شخصياتهن كما بدت في البيت المحمدي، فلم أعرض لما قبل مجيئهن إليه إلا على سبيل التمهيد، ولم أتبع حياتهن بعده ﷺ، إلا أن تكون إشارة موجزة يدعو إليها المقام.

ذلك لأنني لم أشأ لهذا الكتاب أن يجمع شتى الروايات عن نساء النبي جمعا لماً، ولا أردت أن أجعل من هذه الدراسة مجموعة من تراجمهن على النحو التقليدي المألوف في تراجم الأشخاص، وإنما قصدت إلى تمثل

(١) انظر في (طبقات ابن سعد: ذكر من تزوج رسول الله ﷺ فلم يجمعهن، ومن فارق منهن، وسبب مفارقتها إياهن) ١٤١/٨، ثم (ذكر من خطب النبي ﷺ من النساء فلم يتم نكاحه، ومن وهبت له نفسها من النساء) ١٥٠/٨ - ١٦٠.

حياة كل منهن في بيت المصطفى ﷺ، ومكانها منه، وتصوير شخصيتها تصويراً يجلوها زوجاً وأنثى... ولا على القارئ بعد هذا أن يلتبس هنا ما وراء ذلك من تحقيق تاريخي لسنة وفاتها، وتحديد لمكان قبرها وتتبع دقيق لأنبائها بعد زوجها، فليلتبس في غير هذا الكتاب إذا شاء، وحسبه منى أن أقدم له من ملامح شخصيتها الأصلية، ما يضيء تاريخها كله. وأود بعد هذا كله أن يطمئن القارئ إلى أنني تحررت جهدى في مادة الكتابة أصالة المصادر، ثم كان لى بعد ذلك، منهجى فى التناول وأسلوبى فى الأداء ونسق العرض.

وعسى أن أكون قد وفقت إلى قريب مما حاولت من تقديم الحياة الزوجية فى بيته ﷺ، بما ينبغى لى من محض التقوى والإخلاص، وصدق التقدير لجلال الموضوع وأمانة الكلمة.

﴿وعلى الله قُضِيَ السَّبِيلُ﴾